السنة التاسعة والخمسون — تموز – كانون الاول ١٩٦٥

نقد ديوان محمود عماد

بقلم الاب وقائيل نخله البسوعي

قد طُبع هذا الديوان في القاهرة سنة ١٩٤٩ . بعد اربعين عاماً قضاها صاحبه المصري في نظم الشعر ونشر قصائده في عدة جرائد ومجلات . في اول مسابقة اقترحها مجمع فؤاد الاول الملكي للغة العربية على شعراء العالم العربي سنة ١٩٤٧ : قد منح ديوان عماد الجائزة الاولى « في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية » . ثم اهدى لنا صاحبه نسخة منه مصدّرة بتوقيعه . في ١٧ ايار ١٩٥٠ . فلا بدع باقدامنا على نقد ذلك الشاعر الشهير : بعد قضائنا عشرات الساعات في قراءة قصائده بكل الانتباه . للتمييز بين خرزها وحباتها. نؤكد لقراء « المشرق » ان كون عماد من مواطنينا : وبله قصب السبق في المباراة المشار اليها لم يؤثرا ادنى تأثير في نقدنا المفصّل لديوانه . من جهة اخرى قد اعلن هو ذاته في آخر المقدمة الطويلة : هذا الاعلان السديد المتواضع : « وان تحدثتُ عن صلة هذا الشعر بنفسي ، فلا ارى من حقي « ان اتحدث عن صلته بالفن ، بل ارى ذلك من حق القراء . »

ليس من الصفات الصبات الجاء رأي شامل صائب في مواضيع قصائده عديدة . فانها كثيرة . شديدة التنوع . لا يجمع ما تخلص منها اذى تبويب . وقد تحتم عليه بذل جهد خاص لتمييز موادها الجوهرية .

لعباد فكرة سامية صحيحة في خصائص الشاعر ورفعة رسالته بين سائر البشر . قال عنه . وهو القول :

انـــه رحمة تمشت وحنت كل ما دب على الارض وسارْ
هو في الارض رسول من علٍ يتبنى رعيـــا فوق المدار .
من سواه نعت الدنيا الى ساكنيها وصفا غنيا الخزائن ؟
من سواه عرّف الحسن . ومن عرّف القبح . فحنّى واثار ؟
شرهم . لو عداهم وجيه . يحسن السير في هدي القدر ؟
انه تعميم نفع وهـــدى . وإذا اختص بصر وحسار .

سنرى في هذا البحث اي شأو قد بلغه عباد في القيام بتلك الرسالة العالية .

النوع الاول من مواضيعه تمكن تسميته فلسفة الحياة . فانه يحدثنا فيها عن الله تعالى والانسان : الدنيا والآخرة : المصير والسعادة .

يقابل بين قصر عيشتنا الارضية ودوام الاله القيوم . المشاهد لتقلباتها المتواصلة وفنائها السريع :

يا ليتنا مثل الغصون ربيعنـــا يتجـــددُ !
لكننا : منها نعش : فلنـــا ربيعٌ مفرد :
ووراءه يأتي خريف ثم لا يتعـــدد .
فصلان : ذا يهب الحياة لنـــا : وذاك يجرّد .
فصلان قصتنا : وبعدهما ستـــارٌ سرمـــد !
اعجبْ بها من قصة في كل عرض تُنقد :
والناقدون لهـــا هم اشخاصها : لا الشُهّد :
اما مُشاهدها : فمُخرجها العظيم الاوحـــد !

في قصيدته « الله » يقول انه قد توسل الى مولاه ان يُريه عرشه ومقرّه : « فطار شخصه من فوق الثرى » :

واجتاز اقطار الوجود : فلم يعُد يبدو له الكون الخفيل ويظهرُ :
وهناك أُسقط في ظلام دامس : لم يدر اي جهاته يتخير[1] ...

١) النقط الثلاث المتتابعة تدل في هذا البيت وامثاله على اهمالنا بعض ما يليه .

رُفعت له راحٌ . تحر لوجهه صعقاً يمجد ربه ويكبّر .
وذا به في الارض يسجد مفضياً : قد راقه منه الخضوع الاخر .
فعلمتُ ان الكون اقدس معبد فيه يُرى وجه الاله ويُشعر !

بعد تمجيد عماد قد تعالى في « عُمر الكون » :

اي عمر هذا الذي وُهب الكون . وحده يقتنيه لنفسه ؟
اي مرمى قد أطلقت نحوه الانجم مذ كن . لم يُبحه الخفاء ؟
ان سهماً يسير شوطاً كهذا : كيف لا يعتريه فيه الرياء ؟
وبأي القرى تعهّده الرامي قديماً . فلم يخنه الرجاء ؟
ايها رميةٌ يبيد ذا الب اكتناهاً ويستطير الذكاء !
ان بين الاناء والخلب فيها غَرَدى الدهور والآباد !
يترك العقل والجنون جميعاً للذي قد رمى ويعثر لفناه !

الانسان . مع ضآلة جسمه وفرط قصر حياته الارضية . هو بلا مراء اعظم جداً من الكون المادي اجمع : مع رحابته المعجزة لاقدر العقول . وضخامة كواكبه وطول اعمارها التي تقاس بملايين سنوات النور . تفوّق الانسان على كل الخلائق الحيوانية الخفية : ناجم عن كونه ذا روح مخلوقة على صورة بارئها . ومن ثم لا يُشبع جوعها الى الله تملك الكون برمته . قد اجاد عماد التعبير عن ذلك التوق المضني : في هذين البيتين :

يا ايها الكون العريض الطويلْ ، اليس لي فيك عزاء قليلْ ؟
وسعتَ اجراماً وافلاكيا : ولم تسع قلبي الصغير الضئيل !

تستغرب بعد ذلك كل الاستغراب انه يجهل او بالاحرى يتجاهل غاية حياتنا : التي هي معرفة خالقنا وخدمته : يقول مخاطباً نفسه في « ذكرى ميلادي » :

من اين ، يا خيف الحياة ، اتيت ، ثم متى الرحيلْ ؟
وبأي كون سوف تختم ذلك السفر الطويل ؟
كلٌ الى غرض يجول ، فهل الى غرض تجول ؟
او انت سهم طائش ، فاخترق الخفاء الى الوجود ؟...
الأرض قد وسعت مناك ، فما احتياجك للنجوم ؟
الكون شأنٌ انت شطرٌ منه ، لا انت العموم ،
افلستَ تفنى يوما للكون قد كُتب الخلود ؟

قد ختم مثل ذلك التصريح قصيدته الصوتية « امنى » التي يرثيها فيها وقد احترمها الموت . وهي في نهاية من عمرها :

يـــا زهرةً لي في الربيع ذوت . وقد ركبت الروحُ .
كوني غداً لي زهـــرةً في الخلد نامية الاريج .
حيث الابد لا تحول وحيث موتك لا يراهُ !

يرى اكثر الناس عبيد هواجسهم المنحرفة . فيخامره الشك في واجب انقياده للضمير الآمر بالفضيلة والناهي عن الرذيلة . فيقول :

ان الضمير الذي قدستَ صنمٌ فحتّه انت من وهم ومن خرَف..
ان الفضيلة قيدٌ انت صانعـــه وفاق رُسعيك إن تحلس وان تقف
لذاك لم تستطع تحطيمـــه بيد اتعبتها زمناً في الصرغ والكلف .
انعيش حسٌّ . فلا تطلب ذخيرته الا من الحس بين الدُّر والصدف...
يخفي الضمير علينا كل آونة جنايةً . ثم لا تخفي لتختلف ؛
اي التقوى فيك : يا وهماً محلته في رأس ابغضنا للوهم والسخف ؟

ثم يفيق ضميره من غفوته : فيصيح صاحبه مكذباً رأيه النـــاثل كل التكذيب :

شكوتُ تاركك ، لكني انوّهنا اضالعي . فلتقضِ في موضع الشغف !
لأنت كالحسن يضنيني واطلبه : ان غاب عن ناظري في كل منعطف .
وان تربك عندي فوق تبرهم : وظهر ارضك احنى لي من السقف !

في « قصر معطّل » يقول ان صاحبه قد جمع فيه اسباب السعادة ، ثم زالت نعماه عنه ، فلم يلبث به غير لحظة كالمنام . ويختم هذه القصيدة بتأكيده ان السعادة محصورة في راحة الضمير :

قُل لمن يحسب السعادة رهناً لحطام ، اكبرتَ شأن الحطام :
انمـــا هذه السعادة حقٌّ للضمير في راحـــة . وسلام :
غاب هذا الضميرُ في ثوب ملك او بثوب الثقاب والفحام .

على كل حال ان فرط كثرة الشرور المادية والروحية التي تكاد تسحق البشر بوطأتها الفادحة ، قد جعلت الشاعر المصري شديد التشاؤم . يقول في رثاء بنته السابق ذكرها :

لا تأسفي ان نلت عمرًا قـــد تناهى في القصرْ :
وحُرمت ان تستشقي نسمات عيشك في البكر !

وبينك . ما في العيش الا الشر حتماً وحصاده .
ما حي . ما الايام . ما الدنيا العريضة . ما الامل ؟
لا شيء . لكن هكذا بالعيش نُعرى والعمر
نبكي على المرقى كأنّ قد خُصصنا بالصعود !

ذلك تشاؤم يسع حمد الانقضى فيتاخم اليأس . اذ يرى عماد كل يوم عبيد الرذائل سائدين في علي مقام الزعامة . وابطال الفضيلة مهمشين في اسفل دركات الهون . فيصرخ صارخ المجرن :

كم عبد يوم كنوز يشترون لها الرذيلة .
ويصورون لها الفضيلة في عراقيبا الجميلة
قد سد من بعدٌ بذلك الا ما ذكروه حيلة .
وذا الرذيلة في مراقي العز والنعمى مريلة .
اما الفضيلة فهي عند الباب واقفة ذليلة !

خلاصة القول ان قصائد عماد القليلة التي ابدى فيها رأيه الفاسد والسطحي اكثر الاحيان في فلسفة الحياة . هي اشبه باللؤلؤ البهرج منها بالدرر اليتيمة .

اما قصائده الغزلية . فهي نحو ربع ديوانه الحاوي ٣٧٧ صفحة . واطولها « الشاعرة والمصور » تشغل اثنتين وعشرين صفحة . وقد وصف فيها عشقها المتبادل . الذي انتهى بابتعاد الشاعرة عن صبها وجنون هذا الشهواني التائص كربوات امثاله . بعدما ارتكبا الفحشاء . من اغرب الغرائب ان عماداً . مع ادعائه اصلاح المجتمع المصري في جُل ديوانه . لم يتمالك عن ابدائه عشرات المرار هيامه بجمال النساء . بحيث لا مجال للريب في انه عاشق وفاق متيّم لهن . لقد كثرنا الامثال على تشبيبه — وهي حفنة من كثيب — لئلا يعدّنا القراء مبالغين في رأينا .

قال في « السباحة الشقراء » :

يا بحر . خفّض سرعة التيار ؛ فاتنة الشطوط والبحار
قد ابحرت في زورق مختار ... تبدو بجسم فيه نصف عار
ذي نضرة كنضرة الازهار ؛ يقطر منها الطلّ في ايار .
قامت على ساقين من جمّار منصوبة الصدر عن استكبار ؛
يطعن نهداها النسيم الجاري ؛ فيرتمي في حضنها المعطار
محتمياً او آخذاً بالثار ؛ وبعد ذا يعجل في الفرار ،
فيقع المكين في الاسار مكبلاً بشعرها الجرّار...

في « بيت عشتروت » يعترف بان صبية جميلة قد سبت عقله وقلبه :

أيها الناظرتي وانفسي بسأمي .
وعقلي من طريقه ولطفيا من حصني...
في خدّها مورداً على القميص المخملي...
وكيف تدري انها تعلّقي وشغلي ؟
عارية الساقين من قميصها المختزل .
تنظر لي في دهشة إن ابتدئ في الغزل :
وإن أقل « تخيّري قلبيّ او هذي الحلي » .
تشير بلا تردد خليلها المفتعل .
ولو سألتُ قبلةً . تكرّم معي القبل .

تلك الفتاة الدنسة التي ابتاع العفة البريئة . قد قبلتها منه طوعاً امرأة شريرة من اميرات الشبق . فيدعي في « عقد » انه قد عاقدها على الحب :

قلتُ لها عطتنا واباحت قبلتي خدها اباحة عامدْ :
« هذه صيغة التعاقد في الحبّ . ومن خالف التعاقد جاحد :
« فضمي خاتم . وخدك طرس . واحفظا سامع . وقُرطك شاهد »

« على الشاطئ » يصف فيها فرط اعجابه ببعض من النساء السابحات في البحر :

لمن الوجوه الطالعات عشيةً . فوق الخضمّ مطالع الاقمار؟...
المسبلات من الغروب براقعاً كالورد وشّته يدا ايار :
الثابيات عشائرًا وشعائرًا : والحسن يجمعهن تحت شعار :
من كل مائسة القوام تخالها مخمورةً تهفو بغير خمار؟...
سربٌ من الأملاك طار على السنى من جنة قدسية الانهار ! .

بعد ان اشبع نظره الشهواني بمحاسن عريهن ، يتجاسر تجاسرًا غريباً على تعيير امثاله الناظرين اليهن ، بل المطوقين لهن :

خلقٌ طهورٌ جاء يسكن ارضنا : الارض ليست مسكن الاطيار .
افما رأيت الوحش سُدد نحوه من السن نُصبت ومن انظار
وسواعد مثل الافاعي طوقت تلك الغصون ، فمن بالاثمار ؟

اخلّه فرط شغفه بالنساء كل الاخلال ، فعد « ملكة الجمال » الجسدي فائقة لسائر الملوك والملكات ونوابغ الجنسين القوي واللطيف ، فيقول قول المعتوه الهاذي :

... في بحور شعر في الأحمد من مثل الترى .
... يقوده ... سبيل تحرز وتجبرا .
... يقوده مكث في ترجيد مؤزر .
... من عثر . فحسبي بعدي ان يعثروا !
... حكومة اخلصت ... نعماً ودامت عسكر .
... واحكمي ... عهداً نضيراً مثمرا .
... يحسن شوري اذا امر عرا .
... ما شئت . مثل الحسن ان يتكبر !

... في بحر الروما في ... قصيدة يرجي فيها نفس ... الشعر ... وهي نفس عربيات . وفي وصفه ... من سلاسة والتكلف ما فيه

عوجي على الماء . يا اختي من الماء ... ثم ارمي فيه ضوءاً طيّ اضواء ،
واستقبلي موجه يُقبلْ على عجل ... اليك مرج اخيض افادئ النائي .
وان برمت به . فاقري غواربه ... ضعناً بنبديك . يرجع دون ابطاء .
يا فرحة البحر تسري في جوانبه . ... ووحشة البر اقوى اي إقواء !
سلي الأحاج الم يفقد ملوحته ... وانت معطوبة فيها باطواء .
كم من قلوب عليك اليوم حائمة ! ... لا تغرقيها اذا ما غبت في الماء !

في « نحن عابر » يخاطب معشوقاته بصيغة جمع الذكور ، وربما كان ذلك من مظاهر اضاعته وشده بتصوره في تيار الغرام:

ما صحونا عن حبكم — علم الله — ليصحو عن الطلى المدمنونا ؟
ان مقتنا بنت الكروم لرجس : فبنت الخدود كم قد سقينا !
نحن : ان تصرف العيون عن الحسن : فهل بعده تريد العيونا ؟
واذا نكفر الغداة بما يوحي : ترانا بغيره مؤمنينا ؟

عماد قد صرّح في البيت الأخير انه لا يؤمن بسوى حب النساء : زه ، زه ! الايمان بالله تعالى مصدر جميع الفضائل : بيد ان ايمان الشاعر المصري ابن الخلاعة وربيبات الجرائم الفظيعة المتنوعة المولودة منها في كل عصر ومصر . لا بدع من ثم بكون عماد لا يستحي البتة من ان يبوح لنا باستسلامه للعبادة ، كأنها قمة السناء ، في القصيدة « حنا » :

حنا : والدهر بسّامٌ ، وعُسر الحب في يسر ،
وقفت انسا وحوّاني نعد الموج في النهر ،

وتقطف ما جنتا من الاوراق وزهر .
ولا تخيفة ترعاتا ولا الشيب ذو مكر .
فمن شفة الى خد هفتْ . ويد الى حصر .
وهمس ذاب في الانفاس من صدر الى صدر .

يثور ثائره فيستشيط غضباً على من يزاحمه على بنت حواء : يقول في « المعبد الحرام » . وما اشبه معبده بالسرحير :

سلاماً بعد ذلك ام حسام . فقد لا يصدق اليوم السلام .
ان الذات التي همنا زماناً بيا . فاصبحنا هنا اغراب .
وصاليا بساحتها وصمنا . فلم تشهد الصلاة ولا الصيام .
وما كنا بأول من اباحوا عبادة من عبدته حواء .
فكم وثن وكم حيوان سوء جثا بجوده سب الامم .
ضلال قد شرعناه اختياراً لانفسنا ؛ فنحن به نُضام...
ام تُنبتك ارض الرجس ام من سماء الطهر انزلك الغمام ؟...
ولكنْ قد تخيلنا فخلنا ؛ وصار الحق يحجبه التام ؛
وحال القلب دون العقل منا ؛ فتمّ لغيرنا ملك المرام .
كأنك في زجاج إن دنونا ؛ وطوع الكف ان يدن التام !

قد اقر عماد بعبادته للمرأة الجميلة . فلا غرو بعد ذلك من كونه يعدّ صافعها ؛ ولو استحقت صفعته بوقاحة غُلمتها : مرتكب اثم شنيع لا يُغتفر . يقول في « لطمة » قول الجنون المحض :

ما كوكبٌ يلطمه كوكبٌ : فيُرعد الكون العريض الطويلْ
يأهول الوقع على مسمعي من لطمة تسمو لخدٍّ جميل !
يا لاطم الحسن على وجنة ؛ كفرت بالجنّة والسلسبيل...
ان أذنب الحسن ؛ فلا تغضبوا ؛ فما لذنب الحسن غير القبول .
لا عُرف للحسن ، فيُجزى به ؛ الحسن فوق العرف ، فوق الاصول ؛
الحسن شرعٌ قائم وحده ؛ قلوبنا تعرفه ، لا العقول...
عبدتموه ؛ فبأي القوى تلحون ما يفعل او ما يقول ؟

بعد كل ما اثبتناه بالادلة العديدة الجلية من هيام عماد الجنوني بالنساء الجميلات ؛ نلوذ بكشحينا من الضحك اذ نراه يدعي هداية بنات حواء الى طريق الاحتشام والعفة . في « الحسن الزائف » يستقبح كل حيلهن — وهي كثيرة بثيرة — للاستعاضة عما بخلت به الطبيعة عليهن من مظاهر الجمال :

عجبت لعادة حركت نفاراً ... من الاصداء لحد لاسبي .
فذهت روحها فيه وغابت ... ضياب النفس في العيم النفيس .
وصارت دُمية تغريك لهواً ... ولا تنبيك عن سر حنين
رويدك . يا فتاة . وحدثينا ... عن الدم . لا عن الجلد النفيل !
نريه الروح في حسن وقبح . ... فجانبها من الترب المهيل .

في « حال العصري » يدعونا عن تشريح حلقتين الانثوية بقصد تحسينها . ويعلم القاضي والداني فوضى انتشار ذئب الرياء في قرننا العشرين . حتى بين المرويات :

قل لحسينة درست اصغارها ... و بي لخوف كدت اعصي هارون !
ان الحجاب للرجوس نخالها ... حتى رأينا للحسناء شانيا !
بالامس اتت قصصت شعرك غيلة ... ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا .
وغداً نراك تمثلت ثغرك ناقصاً ... وازحت انفك . رغم انفك . جانبا !
من علّم الحسناء ان جمالها ... في ان تخالف خلقها وتجانبا ؟

في « الوردة الذابلة » يرمز الى استسلام آلاف النساء لعوامل الخلاعة ؛ ويدعي انهن كن قد حفظن نضارة عفتهن لو جعلها تحت حماية ذوي النُبل والنزاهة من الرجال . ومن البديهي انه قد عد نفسه في مقدمتهم :

لو شاءت الوردة : كنا لها ... ندى اذا الانداء لم تنزل ؛
لو شاءت الوردة : كنا لها ... شوكاً يقيها عبث الانمل ؛
لو شاءت الوردة : كنا لها ... ارضاً موطأة على جدول ؛
لو شاءت الوردة : كنا لها ... شمساً تُريق الضوء في معزل ،
فظلّ للوردة ما أُعطيت ... من ناضر الحسن وغالي الحُلي .

على كل حال ، بعد انكاره الجازم لوجوب عقاب النساء الآثمات ، يقول في « مظاهرة » ان المتنحات منهن على البغاء العلني خطر هائل للامن العام ؛ فيطلب من رجال الشرطة القبض عليهن :

حذار ، حذار ، رجال النظام ! ... فاني على الأمن اخشى الخطر .
رأيت مظاهرة قد طغت ... على الحيّ في نسق مبتكر ،
تألّف من غادة فذة ... مسلّحة بمحيّا اغر ،
تُثير الخواطر انّى مشت ... وتقدح طي القلوب الشرر !
فان تشعوها ، وإلا فنحن ... الى فتنة ما لها مستقر !

عماد . العاشق الواله لكل حسناء وقعت تحت نظره . قد داق لوعة الحرمان من استعباده للنساء . فيصف ذلك الشقاء المضني في « الازاهير الساهمة » . ويحث ذاته — بلا جدوى . على ما نرجح — على الهرب من بنات حواء :

طالما رمتُ ان تراهن . يا قلب . واقسمت ان تكون جليدا .
ثم لما قضى الزمان لقاءً . كنت تقضي لدى اللقاء شهيدا !
انت لا تعرف الرشاد مع القرب . وما كنت في البعاد رشيدا .
كم وكم بالرجاء واليأس تشقى ! حسبك الله . لا طلبت مزيدا .
تعشق النوم في ظلال الغواني . ان حرًّا في ظلهن شديدا .
فرَّ عنهن . ان اطقت . مع الليل . وعش في الخفاء حرًّا سعيدا .
من رهر ، ومن يتم في جوار الزهر يلقى الممات حرًّا وئيدا !

في « الشباب الشهيد » يردع الشبان عن مغازلة النساء :

جاء الشباب اليَّ مشبوب الجوانح والبصرْ :
قال : « الحسان الناهدات قدحن في جسمي الشرر :
« هن الغصون المثمرات ، وقد تشهيتُ الثمر . »
فاجبته : « مه ، يا شباب . فهذه احدى الكبر :
الحسن رسمٌ . ليس جسماً ، حسبنا منه النظر .

قد بلغ في عصرنا فرط شغف الشبان بالنساء حد التخنث الكامل ، وقد اجاد عماد وصف تفاصيله في « فتيان العصر » :

رجُلاً تنادي ، اذ دعوت محمدا ، ام غادةً ذكّرتها متعمدا ؟
اني ارى شعرًا تكسر لامعاً كالماء مسته الصبا فتجعدا :
وارى محيًا ليس من اثر به للشعر ، محفوّ الجوانب اجردا :
لا لحيةٌ مما عرفت يشارب كان الجدود به يخيفون العدى .
والحاجب المعهود بدد شمله ، فاذا به قد صار خطًّا اسودا :
والخد والصدغ استعارا صبغةً ، فابيضّ هذا حين ذاك توردا !
وارى قواماً دق خصرًا وارتمى رِدفاً يسير تخطراً وتأودا :
ويثير اني حل عَرفاً ذاكياً ، فكأن من وشي الحديقة ما ارتدى .
واذا سمعتُ ، سمعت لفظاً حافياً آناً ، وآناً آهة وتنهدا .

النوع الثالث من مواضيع ديوان عماد ، هو الوطني ، ولم يُطل معالجته الا في قصائد قليلة ، من احسنها « الطيار المصري الاول » :

عبيرٌ حرٌ من مصر .	اعندك نبأٌ عن طير مصر ؟
احدثك انه قد طال ريثٌ	وجانب هجر من قصر لقصر ؟
فهبّي حوذ سرباً نسرهُ	وحيّيه بزقزقة وصفر .
وبه ريح . خضعي واحني رحاهُ	ويا غيم . اشمر منه بمر .
وبه ارض . اكتسي عشباً وزهراً	ليمرح منك في لين ويسر .
فيا كل طيور كعبير مصر .	ابكر في البين كعبير بكر ؟
لقد عشقت بسه آمال قوم .	فيا لك من امل بخير !
وثبت حناجه حنقت قسراً .	فردد حنقها في كل سير .

قد حصر شعر ارطي سعد زغلول عدة قصائد أخرى . مع كثرة شوقيه . بيانًا حيالة . في انعاشها يستهجن جريمة مصري روى سعداً برصاصة صبت درعه واستقرت في صدره . لانه قد اتى كل الاباء ان يفاوض سعد الانكليز في بلادهم للحصول على استقلال مصر ؛ قبل جلائهم عنها . هاكم مقتطفات من تلك القصيدة :

لقد خلق السياسة قبل سعد	فتى . فأنى يعلمه الاصولا...
فدانى ولكنْ تحت شرط :	يرى عند القرار له سبيلا ...
ويا مثل الشجاعة في زمان	جبان — لا رُؤيت به عليلا —
جراحك في حشا مصر جراحٌ	تسيل : وان ابيتَ لها سبيلا !
اذا لم تشكُها بأساً وكبراً :	فشكوى النيل احزنت السيولا !
لقد زادتك : لم تُنقصك شيئاً	رصاصتهم ، فاغضبت الفحولا :
وباخت نارها لما احست	نسيم وفائك العذب البليلا .
ابت لسمو موقعها خروجاً :	فثرت بعدما لطُفت دخولا :
رأت اوزار فعلتها : فلاذت	بصدرك تطلب الصفح الجميلا !
يريدون اختصارك بالمنايا .	ويأبى الله الا ان تطولا .

بعدما انتقل سعد زغلول الى جوار مولاه سنة ١٩٢٦ ؛ رثاه عماد بقصيدة طويلة ؛ حارة اللهجة ؛ ملأى بعواطف الاعجاب والاجلال ؛ عنوانها « يوم سعد » ؛ دونكم نخبة من ابياتها :

تاريخه تاريخ اروع نهضة	للنيل من عزم ومن إحكام !
لم ندر ، اذ نجلوه ، اية صفحة	هي احفل الصفحات بالإفحام :
اتحررًا جم البيان موفقاً	في بيئة حرصت على الإعجام ؟
ام مدرهاً يسمو بحرفته التي	كانت الى عار تمتّ وذام ؟

ام قاضياً جر العدالة عوده ... محاكم حجبت من الاحكام ؟
ام بعد ذلكم وزيراً حازماً ... هو قدوة الوزراء وحكمه ؟
ام نائباً جعل النيابة غبطة ... من فرق ارفع غبطة ومرام ؟
ام في رياسة دارها متشيعاً ... لمحق في نقص وفي ابرام ؟
ام في منابره خطيباً دافقاً ... كالسيل يهدر من محل سام ؟
ام قائداً شعباً اضاء سلاحه . ... فاذا به باخرب بحذق وام ؟
كان السلاح له سلاحاً من حجى ؛ ... لا من حديد مصمت وضرام .
هذي الصحائف سوف تبقي في الورى ... سعداً . وسعدٌ غاب تحت رغام .

سنة ١٩٣٦ . عشرة اعوام بعد وفاة سعد . المعدود اكبر واشجع مجاهد لاستقلال وطنه المصري : قد حدث في القاهرة حادث رائع . هز نسيج وحده في تاريخ تلك العاصمة الطويل . الحافل باعجب الحوادث والمآثر . عامئذ قد حمل بعض الوزراء المصريين على اكتافهم . وهم حفاة . جثة سعد من قبرها القديم الى عربة مدفع : نقلتا الى مدفن شامخ . بديع الهندسة والزينة : بلغت نفقاته نحو خمسة واربعين الف ليرة مصرية . ثم حملوها من تلك العربة الى داخل المدفن : على قصف المدافع ، وهم محاطون بربوات الاهالي . قد وصف عماد في « قبر الجندي المعلوم » شيئاً من عظمة ذلك الاحتفال الفريد :

تسمع ؛ انسع نفخة صور ... تجوب الفضاء وتطوي البحور ؟...
وإلا فماذا اتانا بعد : ... وانساه مثواه تحت الصخور ؟
وفيم احتشاد الورى في خشوع ، ... اذا لم يكن ذاك يوم النشور ؟
ام ان الزعيم الدفين جزوع ... على قومه لغموض المصير ،
فجاء يطالعهم من قريب ... ويقتادهم في مهب الامور ؟
سلاماً ، سلاماً ، رفات الزعيم ... ولبيك لبيك فيما تشير !
على العهد نحن ، فسر مطمئناً ... الى مضجع بعلاك جدير !...
اذا كرموا قبر جنديهم ، ... وقد جهلوه ، وساقوا النذور ،
فنحن نكرم من قد علمنا ، ... فها قبر جندي مصر الشهير ...
فما زال فينا اليه افتقار ، ... وربا رب حي ليست تقير ؛
اذا الثاث امر ، حججنا اليه ، ... فأوهف منا النهى والشعور .

بعد جلاء الجنود الانكليز عن القاهرة والاسكندرية ، رثى عماد لسوء حالة مصر التي لم يخل عنها آلاف مؤلفة من ابنائها العتق الخونة ، المستأثرين بعلمهم ونفوذهم وثروتهم لمصلحتهم الشخصية ، دون ادنى اكتراث لخير بلادهم

العدم . لقد اجاد التعبير عن تلك العاطفة النبيلة في قصيدته « هل جبرا ؟ » هاكم نموذجاً منها :

ليس منا الذي يكيد لغير ... هو منهم وروّح لاسماء !...
اكشفوهم في السوق . فالسوق منهم ... في كساد . ونحن نشكو الغلاء .
اكشفوهم في العلم . فالعلم لثٌ ... منحوا قشراً له وغشاء .
اكشفوهم في جيش . فالجيش خذلٌ ... لا يريدون ان يتم نماء .
اكشفوهم في كل شيء . تروهم ... افسدوا في بلادنا الاشياء !

موضوع الرثاء للقصائد عادة هو حرب . ولا بدع بذلك . فقد وقف عن كثب على هول الحربين العالميتين الماضيتين في سني ١٩١٤ و ١٩٣٩ . في « حرب ام سلم ؟ » يبدأ تعبيراً لنعمة الموت الكبرى بسهولة اعلان الحرب بدون اضطرارهم لذلك بعد حبوط كل ما يستطيعونه من المفاوضات لتثبيت السلام . فيقول « لقد وخُصّت نفوس الناس » .

ومن هم مُرخصوها . هم فُرادى ... من الناس اعتلوا فيهم وقاموا :
اذا ضمنوا سلامتهم . فماذا ... يضيرهم اذا فني الانام ؟
وان ملأوا بطونهم . فحقٌ ... لديهم لو جميع الناس صاموا .
وأقسم لو تسن الحرب فيهم ... ويُعفى الناس . لانتشر الوئام :
واصبحنا وساستنا جميعاً ... على الدنيا ملائكة كرام...
طُغاةَ الارض . هل لم يكف منها ... كساءٌ او شرابٌ او طعام ؟
تريدون احتكار الخير فيها : ... واهلوه ، اما بهم اهتمام ؟

« فليحذر النيل » حاوية مثل ذلك الاستهجان للحرب الظالمة الضروس ؛ هاكم ختامها المختص بتلايين الجنود القتلى :

امواج مركوني[1] . احملي عنا الى ... ارواح من راحوا التحية والاسى ؛
بيّان فيهم هاجم ومدافع ؟ ... هذا وذلك كان اعمى اخرسا !
دُفعوا الى حما لم يريدوا : فاسمعوا ... دمهم ينادي من طغى وتغطرسا !

« شم النسيم في الحرب » تتضمن وصفاً وجيزاً للتدمير الكامل الناتج عن الهيجاء :

ماذا من الثمرات ابقت نارهم ... في الارض يملك انفساً وجسوما ؟...

---

١) يعني الامواج الكهربائية للتلغراف اللاسلكي .

أتراهم يخدون . ان حضروا غداً ... الا عظاماً في التراب رميما ؟
فضي على نعم توارت بعد ما ... شغلت فنوناً اعصراً وعلوما !
مدنيـة الدنيا بكل عصورها ... قد حُنطت في خفة تحنيطا !
كم من عصور تنقضي لتُعيدها ! ... ولمَ الاعادة . والاعادة فيما ؟

في « العلم والحرب » يتأود لكون ابناء عصرنا قد سخّروا اعجب اختراعات العلم الحديث . وفي مقدمتها المواصلات اللاسلكية والطيارة النفاثة والقوة الذرية . للبلوغ بالحرب الى اقصى درجات التقتيل والتخريب :

لا يجيد العلم ان يُحيي ميتا ... بينما يُبدع في الاحياء موتا ؛
فهو مجنون ، وان خلناه ثبتا ؛ ... ومجنون العلم مرهوب الاثر ! ...
ان يقُل «اني سخّرت الحديدا» ؛ ... او يقل «اني ادنيت البعيدا» ؛
او يقل «طرت وجاوزت الحدودا» ؛ ... فلويل وثبـور وخطر !
يُتعب الجاهلَ قتل اثنين غدرا ، ... بينما العالم يفني الالف فورا ؛
اي حذين إذن اكثر شرا ؟ ... لا تقولوا « الشعر بالعلم كثر » .

« الى القمر » تحتوي تعبيراً فكاهياً عن خوف عماد من امتداد اطماع الدول الكبرى الى اقرب السيارات من الارض :

اليوم تبدأ عهد النحس ، يا قمرُ ، ... فقد تسامى الى اجوائك البشرُ ؛
حذي اشعتهم قرت عليك ، وفي ... غد يقرون هم والعلم والخطر ...
ان السلام الذي قد دان من قدم ... عليك سوف يرى هيجاء تستعر !
اليس فيك لاطماع لهم غرض ... عليه يقتتل الافراد والزُمر ؟
اليس فيك حديدٌ غاب او ذهب ... تحت التراب وزرع لاح او ثمر ؟

في « الحق والحرب » يصرح عماد بان الحرب العالمية الاولى قد انتهت سنة ١٩١٨ باهتضام الدول المنتصرة لحقوق عدة دول مغلوبة :

حربٌ بها قد شفى الانسان غلته ... من جنسه ، وادعى اللحق تمهيدا .
كم ارسلوا في ثنايا ناره حكماً ، ... كما سمعتَ بدار الحزن تغريدا ! ...
ثم ابرموا ينصفون الضعف فانتصفوا ... للحزن منه وظل الحق مفؤودا !
يا متكرين على المظلوم حجته ... لضعفه ، زدتمُ المظلوم تأييدا ؛
افهمتموه بأنْ لا شيء يحمله ... لحقه غير عزم كان مشدودا ،
فشد العزم ما شاءت ظلامته ، ... وسدد الخطو نحو القصد تسديدا

في « ميثاق السلام » يتهكم تهكماً لذيذاً الشكاهة على جميع السياسيين والمفكرين الحالمين بامكان ازالة الحروب :

إذ قد غرق الاسطول عمداً ... ودك الحصن وانكسر الحسامُ .
ومات الناس في الدنيا جميعاً ... واعقبهم ملائكة كرام .
وذلك الارض صارت غير ارض . ... فحال الحب فيها والحصام .
وبات الشيب ادرد ذا اناة . ... يرى شاةً فيدركه احتشام !...
اذن نام الضعيف قرير عين : ... فان ألمي القوى عنه نيام .
وقد دأت مطامعهم وقرّت . ... فلا مالٌ يشوق ولا طعام .

اسرع الخامس من مواضيع الديوان هو الحكم . وهي كثيرة . معظمها قليلة الابيات . مرذلة في العالب بالسداد والايجاز . فعدّها ربيدة شعر عماد . فان قصائده الطويلة تكثر فيها شوائب المعنى والمبنى بنسبة طوفا . نتقدم الى القراء باقة نضيرة من تلك الحكم .

الطبيب والمريض

ذهب الطبيب الى المريض يعوده ؛ ... ويحول بين حياته ومماته ؛
فاذا الطبيب يموت بعد علاجه : ... واذا المريض يسير خلف رفاته !
اين المناعة في الحياة ، وصرحها ... غرض الزلازل من اشم جهاته ؟

الالم الاول

الم الصغير لانه بذراعه قد طُعّما ،
ولذاك اول عهده فيما بان يتألما .
قلت : « احتمله ، يا بُنَيَّ ، ولا تكن متبرما ؛
والمٌ سيدفع عنك آلاماً اشد واعظما ؛
« ولرُبّ شر كان من ... خير ابرّ وارحما . »

زكاة الصوم

ادّوا الزكاة الى الفقير ، وان يكن ... كرماً ، فأدوها له ضعفين .
انّ الغني يصوم صوماً واحداً ، ... اما الفقير فصائم صومين ؛
انْ يأتدم يوماً وبرّ به الطوى ، ... لم يأتدم من بعده يومين .

اتهام المكان

حسبتُ مكاني في المدينة مُكسبي ... ملالاً . نسيجت العزم ابغي التغيرا .
ثم يُجدني عيشي هنالك سلوةً . ... وابصرت حالي في الملال كما هيا :
وأيقنت نوّاً انني جد مخطئٌ ... وان مصابي نزعتي . لا مكانيا .

حديث المزج

سلوا لاعظ المزج ماذا اراد ... تا راح يحكيه من قبل عادُ .
يمل الحديث اذا ما أعيد . ... ويعذب منه الحديث المُعاد .
كلامٌ خلا من حروف الكلام . ... ولكنّ معناه ملء الفؤاد .
ففي المزج معنى القوى والخلود ... ومعنى الجمال ومعنى الجهاد !
كأني مُصغٍ الى الدهر يخطب من خلف تلك السجوف البعاد :
وهل ينتهي قول هذا الخطيب المفوّه الا بيوم المعاد ؟

النجم اقرب

قال الصغير : وقد رأى ... في الليل نجماً قد تلهبْ :
« ابتي . بربك هاته ... كيما أسر به والعب . »
فاجبته : « هذا بعيد ؛ ... ليس كل مُناك يُطلب . »
فمشى ولاحت دوننا ... ميارةٌ للارض تنهب ؛
روعاء تجتذب العيون . ... كأنها في الارض كوكب ؛
فرنا وقال : « إذن فركبة كنهده حيث اركب . »
فرجعت ثم اجبته : ... « النجم ، يا ابني ، كان اقرب . »

قد فرغنا من تحليل انواع مواضيع الديوان ، وأبدينا رأينا في كل منها ، وكثرنا المقتطفات لتمكين القراء من المعرفة المباشرة لشعر عماد والحكم في انتقادنا له . يسوغ لنا القول ، على وجه التعميم ، ان اكثر مواده مقتبسة من صميم الحياة ، وانها صورة صادقة لما شغل عقل الشاعر من افكار وما هز قلبه من عواطف . فضلاً عن ذلك يسرنا جداً ان نرى في صاحب الديوان نزعة شديدة الى الابتكار في اختيار مواضيع عديدة متنوعة ، قلما نجدها في معظم الدواوين العصرية . قد ذكرنا امثالاً كثيرة على ذلك ، ولا بأس بان نضيف اليها مثلين جديدين . يقول عماد في « الضرة الثانية » :

تعار من الكتاب اذا رأتني اطالعه واترك وحتبيا .
تضن بفكرتي فيما عداها . وتكره نظرتي الا اليها .
وتنظر من مقال ليس فيها . ولو شمل الحياة وساحليا .
وحب هيكلي وحبيط نفسي بقية ارثها من والديها .

ويقول في « الساقية[1] الجافة » :

فأين تحول عنك الغدير . واين الخرارة والناشيه ؟
وقرأسك الحابات الشداد هي اليوم من سوسها ما هيه !
وصفصافك الغض كيف استحال عصيًّا منكّسة حافيه .
يمر النسيم بها . لا تميل . وكانت تراقصه حاليه ...
واد طنين الذباب تراتيل تزجى الى روحك الناليه .
فنحن امام وفاة ؛ اجل ؛ وفاة تعز على الناحيه ؛
وان حياة هنا اليوم ماتت بموتك . ايتها الساقيه !

حسبنا ما قلناه عن معاني الديوان ؛ بقي ان نبدي رأينا في صفات التعبير او الانشاء . الابتكار الذي يزين كثيراً من مواضيع القصائد ، نجده في مئات الخيالات ؛ دونكم امثلة عديدة عليها . في اول « عقد » يقول :

برد ريح الصبا وصوت اخداده نبّها الصبح . وهو في الليل راقدْ ؛
فطلعنا على الغدير مع الشمس ؛ وزهر الغدير غاف وساهد ...
واتندى ناظمٌ على العشب اسماطاً كما ينضد اللآلئ ناضد ؛
ينبري بينها النسيم ؛ فتنحلّ على الماء واحداً بعد واحد .

يقول في « لحن عابر » :

وسواءٌ في الضرب عود وقلب ؛ وسواء قبلاً هما تكوينا ؛
ذاك اوتاره ترن رنيناً ؛ حين اوتار ذا تئن انينا ؛
واذا ما تُشد هذي ؛ فهذي قد حماها حر الشجى ان تلينا .
غير ان الاعواد ؛ ان يبلَ منها وترٌ ، أُعطيتْ سواه متينا ؛
حين ان القلوب تبلى مع الاوتار فاستعطفوا لها الضاربينا .
طرقتني في الليل ؛ والليل ساج ؛ نغماتٌ نشرن مني دفينا ؛
فاذا الطيش شيمتي ، وانا المرء ابى ان يكون الا رزينا ؛
ان نفس الشجيّ تنزع للثورة ، إما تجدْ عليها معينا !

حاكم رأيه في الكون المادي البادي للعيان :

(١ هي اسم الناعورة في اللغة المصرية العامية .

العالم المنظور يُخفي عالماً قد دقّه سعةً وحسن رواء .
وهناك تتخذ الحقيقة عرشها فوق الظنون الكثر والآراء .

من وصفه للمنظور الساقي :

فاذا له قدمان . هذي في الثرى غابت . وهذي عن قريب تتبعُ !
هل يفصل القدمين الا خطوة تُطوى باسرع ما يكون وتُقطع ؟

هكذا يخاطب المستقبل الغامض الذي تترق احر التوق الى كشف اسراره :

الا . ايها الغد . لو تشترى . لكنت اشتُريت بمال وفيرْ .

يقول عن اللابس ثوب الحداد بدون حزن على موت قريبه :

لبس السواد وساز في احزانه ليقال: «فاض الحزن من ارداني.»

ان كثرة الخيالات المبتكرة من اجل حلى انشاء عماد : بيد ان عدداً كبيراً منها مشين بالتصنع والمبالغة : فيزول رونقه .

هاكم عدة امثال على التصنع . يقول ان للبنفسج زرقة من عيون الراهبات الشُقر الرائيات للمسيح : ثم يوجه الى تلك الزهرة هذا الكلام الغريب :

يا راهب الزهر الوقور ، عليه قاتمة السوحْ .
في ديره يرعى عذارى الورد دامية الجروح .

يدّعي بتحذلق يمجه الذوق السليم : ان من شم زهرة شم جثة :

اذا ما صح ان النبت حيّ وان النبت يألم حين يُقطعْ .
فانّا : ان شممنا الزهر يوماً ، شممنا جثةً بالعطر تسطع .

« البحر الحيران » سداد ولمسته من التصنع دون سواد :

رأيتُ حسناء فوق الماء لاعبةً : فقلت: «لا شك ان البحر فرحانُ .»
ثم اعترتني به شوهاء منكرة ، فقلت: «بل ان هذا البحر غضبان.»
كلتاهما فيه حقٌ ليس ينكره ، والحق في الكون اشكال والوان ؛
فان طلبنا له وصفاً يلائمه ، فوصفه الحق ان البحر حيران .

يقول عن زوارق الصيد :

تجري مع الموج الأحمّ ، كأنها بيض المنى اتفقت مع الاقدارِ .

في وصفه لغروب الشمس :

وغريبة للغرب تسرق خطوها ، يتناقدا خبرٌ من الاخبارِ ؛
ابداً على سفرٍ ؛ لذاك احالها صفراء ، شيمةُ ملمن الاسفارِ ...

الشعرة صُنعت بسدّ جهنم لتروع كل مروّع جبار ؟
ام ذاك ثوب الملائكة مضرّماً ؟ ام ما عسى هذا اللهيب الواري ؟
البحر يلمعه ليدرأ شره . تضحكه الامواج عبء شرار .

يقول في « البحر » :

ولاي ناحية كلوبطرا مضت بسفينة من فضة وبخار ؟
كانت . اذا خطرت عليك عشية هبطت لرؤيتها عليك دراري .
ورنت من الغور البعيد لآلئ مفلوقة الصدفات عن إكبار .

يغير عن عادة انها « مرت تتهادى كما هززت الخزاما » . وان « شعرها تداعب الريح . يحكي ديوها سترسالاً » . وانها قد « نومت عشقيها سخرة وباحرى ايقظته » .

وفي « كتاب الجمال » :

جلستُ تقرأ الكتاب على ضوء محيًا ذا وضيء الاهاب ...

ثم يقول للتي تيممه بسطوع وجنيها .

وهدتنا اجناد حسنك بالتعذيب ، ان الهدى رينب العذاب .

اليكم الآن امثلة اخرى على المبالغة الفاحشة المصاحبة للتصنع في كثير من الخيالات السابق ذكرها :

« وردتان » قصيدة يغازل فيها فاتنته . فيقول لها :

لك الله : هل غيرّ هذا القوام حملت : ومن ثقله تشتكين ؟
فلو كان فوق جفونيّ ، لم اشكُ منه وانكرت فضل المعين .

يقول عن فتاة حسناء سبت شيخاً هرماً فترك زوجته واقترن بها :

اذا ما رنا طرفها رنوةً الى شجرٍ مات ، يحيا الشجرْ !

وفي وصف مال فاحش :

مالٌ اذا بحرٌ حواه ، اشتعلْ : او جبلٌ ، لارتجّ منه الجبلْ !

وفي « مصرع المصارع » :

قضى عبد الحليم ، فهل علمتم بماذا قد قضى رجل الحديد ؟
بثروته التي ، لو وزعوها على موتى ، لعاشوا من جديد .
قضى بطل البلاد لان فيه ضماناً للحياة وللخلود !

فضلاً عن تلك المبالغة المتواترة في الخيالات — وهي من اخطر عناصر

تعبير الشعري — لا يدري ان حدثت في عماد معلاة وحشة في آرائه . يحسبها رائعة كل الغيلولة . وذلك عيب ثقيل من الاول . وان كان اقل ظهوراً . من اغرب امثال تلك الآراء التي تضحك لتكلن ان الشاعر العصري يحظر علينا قتل الحيوان . اذ يعدّه جناية فظيعة :

لماذا قاتل الحيوان يحيا ويقتل حين يقتل آدميا ؟

يرى تعلقه المفاد للصواب ان فرط الشناعة الجسدية في الانسان هو من اعلى البراهين على قدرة خالقه الكبير . فيقول في « رسالة النمل » :

تدبر من سوآتك في شر صورة تدبرها احداقه والبواصر !
اذا ما رآها ملحد . راح مؤمناً بالله الذي يحتقر مثلك قادر .
فتبحث إعجازاً من الله في الورى كاعجازه في الحسن . والحسن باهر .

« المخترعون » تعبّر عن سخطه على مبدعي اعاجيب العلم . مع انهم من اعظم المحسنين الى البشر . وهو ذاته يتمتع كل يوم بمئات من اختراعاتهم . ايسوغ له ان يغمط نعمهم بمجرد كون ربوات من الاشرار قد اساؤوا استعمالها ؟ اسمعوا حكمه الظالم عليهم :

لقد حذقوا الشر في العالمين كما حذقوا فيهم الفائدة ...
لئن هذّبوا قاعدات الحياة . فللموت كم هذبوا قاعده !
دعوني من معجزات البخار ومن كبريائهم الخالده
ومن مركبات على الارض تمشي واخرى بافق السما صاعده :
فهذي : اذا لم تكن نقمةً علينا : تكن نعمة زائده .

الحشو ايضاً من مشوهات ديوان عماد ؛ ويسهل علينا ان نذكر عليه مئات الامثال ؛ وهو من نوعين . الاول قائم باضافة كلمة مرادفة للسابقة . كما نرى في هذه التعابير : خليق باعمال السُّهى وجدير ؛ سلاسل وقيود ؛ محني وبلائي ؛ يبدو ويظهر ؛ يُرى ويُنظر ؛ الصغير الضئيل ؛ جانٍ ومقترف ؛ الى متى والامَ .

النوع الثاني قائم بزيادة كلمة مختلفة عن السابقة بالمعنى ، غير انها لا تضيف اليها ادنى ايضاح او تكملة او جمال . من امثال تلك الثرثرة المستترة : من فوق ارفع غاية ومرام ؛ صعابٌ بها ناءت نجوم واجرام ؛ انت لعيني جنة وحرير ، تتردى الدهور والآناء .

لا بد ان نضيف الى جميع العيوب القتيلة السابق بيانها ؛ الخطأ اللغوي غير

النادر . عماد يستعمل الكلمة ناس بمعنى المفرد . مما لا يُعفي الشعر عنه في انشاء تلميذ صغير . يقول في « الضمير » :

يا لابس الناس . ما تُحسين قيمته ان كان في عُرف هذا الناس كالخزف؟

قد وجدنا هذا الخطأ غير مرة في ديوانه . كذلك يخطئ مرارًا عديدة في تحريك الميم التي ينتهي بها الضمير المتصل الدال على جمع المذكر . كما نرى في هذا البيت :

اقليس ذا حال الذين بعيرِ قومِهمُ نزولُ ؟

يحيل ان الذراع مؤنثة . فيقول « ذرع حتى الاهرام ان تميل » .

كثيرًا ما يستعمل الكلمات بغير معناها العربي . فيقول « حضروا اتسثال » بدلا من « تحتوه » . و « نرجو الله ان يقصر حشاك » عوضاً عن « نرجو من الله الخ » . و « يريدون اختصارك » بمعنى « يريدون تقصير حياتك » . لا يصعب علينا ذكر عشرات من هذه الاخطاء ؛ غير اننا نخشى اضجار القارئين .

مرارًا عديدة . حين تضيق مذاهبه الاوزان والقوافي ؛ لا يأنف من مخالفة اصول اللغة عمداً على عين باستعمال حرف جر لا يقبله حتى غير المتضلعين من لغة الضاد . فيقول « مصر التي احببتُ منها » بمعنى « احببتها » ؛ و « نعتّ الدنيا الى ساكنيها » . وهو يعني « لساكنيها » . هذا الخطأ ايضاً متواتر في قصائده .

خلاصة رأينا في ديوان عماد انه ؛ مع محاسنه التي لا يجوز انكارها بدون بخسه حقه ؛ مشوّه بعدة عيوب ثقيلة في معانيه وبيانه . فهو في نظرنا بعيد عن المثل الاعلى للقريض الغنائي العربي العصري ؛ بُعد الثريا عن الثرى ؛ فنعدّه نموذجاً بين بين لشعرنا في دوره الانتقالي الحاضر .

واذا سلّمنا بعدم محاباة مجمع فؤاد الاول الملكي للغة العربية في منحه عمادًا الجائزة الاولى « في شعر المدرسة الحديثة الابتداعية » ؛ بعد سباق سنة ١٩٤٧ بين شعراء العالم العربي ؛ فما ذلك التفوق سوى دليل واضح على انخفاض مستوى قريضنا في وسط القرن العشرين ؛ وعلى صدق المثل السائر المألوف عند الفرنسيين : « العُور ملوك في مملكة العميان . »